



أرياف مالي حاضنة هشة تنتج عناصر جهادية جديدة

في أن يساهم الجميع. وتواصل الحياة في المدينة مسارها وسط تراجع التجارة والأعمال، والنظرات القلقة والخائفة.

وعند ضفاف نهر النيجر، الذي يعبر موبتي، تصطف المراكب بانتظار تعبئتها على بعد خطوات من السوق الكبير.

ويقول أحدهم "يصل هذا النهر إلى تمبكتو"، إنما لا مجال للسفر عبره، إذ إن "الجهاديين يوقفون المراكب للاعتداء على المسافرين وسرقة البضائع".

ويحضر الجهاديون في هذه المدينة، غير مرتبين، ولكنهم في كل الأمكنة وفي العقول، وبعضهم يقيم على مرأى من الجميع عند الضفة الأخرى من النهر، شمالا، ويفضل شبكة مخبريهم، ولا يفوتهم أي شيء مما حصل فيها. وفي شهر يونيو الماضي، عززت قوة حفظ السلام الأممية حضورها منعا لاشتعال المنطقة، وكذلك فعلت في مدينة سفاريه المجاورة.

وفي 29 يونيو من العام الماضي، قتل ثلاثة أشخاص في المقر العام للقوة المكافحة للجهاديين المؤلفة من موريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر وتشاد، وانتقل المقر منذ ذلك الوقت إلى باماكو على بعد 650 كلم من هنا.

وفي عام 2012، تمكنت جماعات جهادية تتبع القاعدة من السيطرة على شمال مالي، نظم سكان وسط البلاد الذين تركوا لمصيرهم، صفوفهم للدفاع عن أنفسهم وعن بلداتهم، وسط تدفق الأسلحة من ليبيا الغارقة في الفوضى هي الأخرى.

وفي خضم الأجواء المضطربة، شعر رعاة الفولاني، وهم من الشعوب الرخلة تاريخيا، بالخطر في البراري والسهول، وطالبوا باماكو بالدعم في مواجهة الجماعات المؤلفة في غالبيتها من الطوارق، والتي تهاجم القرى والبلدات وتسرقها، وفق ما يقول الباحث في معهد الدراسات الأمنية والمتخصص في شؤون الإقليم بوكاري سانغاريه.

ويوضح سانغاريه أن "الحكومة الانتقالية رفضت تسليحهم خشية أن تنقلب الأسلحة يوما ما في وجهها". وأضاف "في المحصلة انضم العشرات منهم إلى الجماعات المسلحة التي تمنحهم حماية".

واستغل الجهاديون مشاعر التهميش التي كانت تسكن الرعاة الفولانيين وسط تهميش مؤسسات الدولة والنخب لهم. والمنطقة الفقيرة جدا، أكثر عنفا، وترافق ذلك مع تصاعد في مستويات الجفاف، كما صارت البلدات مزدهمة وتعيش تحت ضغط ديموغرافي.

ويقول إبراهيم إنه قتل "حوالي عشرين شخصا، نذبتهم كما لو كانوا خرافا". واكتسب كوفسا شهرته منذ التسعينات بفعل انتقاداته اللاذعة للدولة وللنخب المحلية، بشكل كان يستهوي كثيرا طلاب المدارس القرآنية والرعاة.

ومنذ 2015، لم يقم تدخل الجيش المالي أي حلول، بل على العكس، أسفرت أعمال الجنود عن تفاقم التمييز في المنطقة.

وفي باماكو أو موبتي، عززت النخب عن نضض الخطاب التصعيدي ضد الفولاني الذي بات يظهر أيضا عبر القنوات التلفزيونية. ويقول عبد العزيز دبالو، وهو رئيس جمعية فولانية، "كان لدى شبانيا انطباع بأن مالي باكلمها ضدهم".

ويلخص دبالو ماسي أجنبي في باماكو المشهد بالقول "كلما ازدادت الفوضى، انتشر الحقد والفقر، وبالتالي ارتفع عدد المجندين الجدد في صفوف الجماعات المسلحة".

باماكو - يخفي وجهه بوشاح سميك بينما يجبر عربته ذات العجلتين في شوارع مدينة موبتي في مالي.

ويبدو الرجل ذو الهوية المجهولة مجرد عابر طريق كغيره بين الحشد المؤلف من تجار ومتجولين، وحتى زوجته لا تعرف سره.

ترك إبراهيم، وهو اسم مستعار لجهادي سابق، منزله وقريته قبل أربع سنوات للانضمام إلى "المجاهدين".

منذ 2012، انتقل العنف في مالي من تمبكتو وكيدال في الشمال إلى وسط البلاد.

وخرج الوضع هناك عن السيطرة، وازداد سوءا يوما تلو آخر بفعل الهجمات الجهادية والنزاعات بين المجتمعات المحلية، بالإضافة إلى أعمال اللصوصية ونشاط قطاع الطرق. وكان إبراهيم أحد رجال أمادو كوفسا، زعيم "جبهة تحرير ماسينا" التي تبث الرعب في المنطقة، وترفع لواء "جماعة نصرة الإسلام والمسلمين" التابعة لتنظيم القاعدة، وتعد أبرز تحالف للجهاديين في منطقة الساحل الأفريقي. وفي يوم كان الرجل يرعى الماشية قرب تجمع لعائلته، جاءه أشخاص وعدوه بـ"ترتب جيد مقابل القتال لتطبيق شريعة الله".

واقتنع إبراهيم كغيره من أبناء الأوساط الريفية، خصوصا أنه في وقت كان يعاني لتأمين معيشة أطفاله الستة. ويقول اليوم، بصوت خافت وبندم واضح، "كنت في حالة فقر شديد، عاجزا عن الرفض".

وتضاعف مردوده المادي عشرين مرة ليصبح راتبه يوازي 300 ألف فرنك شهريا أي نحو 450 يورو، ما يمثل فروة للرجل الذي لم يعرف في حياته سوى الأحرار والبراري.

ولكن للثروة ثمن تحولته إلى قاتل يحارب الناس ويهاجم القرى طيلة أربع سنوات.

وبعد فراره من صفوف الجبهة في العام 2015، لم يتمكن إبراهيم من العودة إلى الديار، فغير اسمه ويات يعيش، في الـ45 من عمره، في الخفاء. وفي موبتي، حيث لا صلات عائلية لديه، يعيش هذا الرجل، ذو الملامح المرهقة، من عمله على عربة ينقل فيها الطرود كسبا لبعض العربة، ويخفي هويته من مثله مثل المئات غيره في المدينة التي يسكنها نحو 150 ألف شخص.

وكانت هذه المدينة تمثل لوقت طويل نقطة توقف للسياح في طريقهم لزيارة الآثار المجاورة، ولكن الآلة انقلبت الآن، وأصبح الذين يأتونها من الهاربين والنازحين عن قرابهم المحترقة، أو من المرشدين السياحيين السابقين الباحثين عن عمل، أو حتى من المقاتلين السابقين الراغبين

في العودة إلى الوطن.

ويؤكد بوكوم أنه مقتنع بامكانية إنقاذ الشباب من تأثير الجهاديين ومن يمكن أن ينضموا إليهم عبر "تفتيت" خطابهم. وقد أنشأ في موبتي في مارس جمعية للدعاة لحماية الوحدة والسلم الاجتماعي تستند إلى القدرة على الاعتماد

على شبكات من المعلمين والشخصيات المؤثرة ممن لا يميلون بناتنا إلى التعامل مع كوفسا، ليعلموا القرآن بشكل مستنير للأطفال. لهذه الغاية، تقترح الجمعية أن تقدم كل قرية حقلا زراعيا مساحته خمسة هكتارات تخصصها لأكثر عوزا ومدارس تعليم القرآن.

ويأمل عثمان بوكوم في أن يساهم هذا الأمر في "استعادة ثقة" العائلات في المناطق التي تخلت عنها الدولة حيث بنعدم الأمن وحيث أصبحت الجماعات المسلحة البديل الوحيد. ويقول -"هو الأب الذي يمكنه أن يتحدث مع ابنه (...). لإقناعه بالعودة إلى منزله وزراعة حقله".

واتساب منصة دعائية للجهاديين في منطقة الساحل

الجماعات المسلحة تستنفض مشاعر الغضب عبر الفضاء الرقمي



الجهاديون يجندون عبر تطبيق واتساب

ويروي سيسي أن رد كوفسا بعد أيام جاء "سيئا جدا وغاضبا". وانضم الكثير من إخوة الإمام حما وأصحابه إلى مجموعة الجهاديين خلال السنوات الأربع الماضية. وهو "لا يعرف فعلا" إن كان ذلك عن قناعة دينية أو بحثا عن المنفعة المالية أو دفاعا عن بلديتهم. لكنه توصل إلى استنتاج مثير مفاده أن "أولادنا يعرضون أنفسهم للقتل مع كوفسا، وأعدادهم تزايد يوميا". ومنذ أربع سنوات أصبحت موبتي المنطقة الأكثر اضطرابا في البلاد مع نحو 60 ألف نازح، وإغلاق نحو 600 مدرسة، ووجود مدنيين عالقين بين مطرقة أعمال العنف التي يمارسها الجهاديون وسندان العمليات الانتقامية الطائفية.

وبغاية التجنيد عبر شبكة الإنترنت، تسعى الجماعات المسلحة إلى استنهاض المشاعر والغضب عبر نشر صور صادمة. ففي كل اعتداء يستهدف مدنيين ومع كل مواجهة مع الجيش يتم تداول صور شنيعة لجثث انزعجت أحشاؤها أو قرى محروقة على شبكات التواصل الاجتماعي.

وفي مواجهة التصعيد في أعمال العنف، فداعى ماليون لفتح نقاش يشترك فيه علماء دين وشخصيات مؤثرة، أو مجرد تجار عبر تناقل رسائل صوتية يسرون فيها حاجز الصمت. ويعمل عثمان بوكوم، وهو بائع مازن، في سوق موبتي، ويبلغ 36 عاما. وهو يمضي يومه باستخدام هاتفه مستمعا إلى حملات الدعاية التي يتم تداولها على "واتساب" وموقع "فيسبوك". ويقول بابتسامة عريضة "إيماني هو الذي دفعني إلى التدخل"، مضيفا "لاحظت أنهم يحورون الكلمات في خطبهم الدينية ويفسرون الآيات على طريقته".

ويضيف "أرد بشرح ما يقوله القرآن حقيقة... كل شخص منضم على الأقل إلى نحو عشر مجموعات مختلفة على واتساب، الناس يتناقلون الرسائل، وعادة، أرد في غضون ثلاثين دقيقة".

ويتعرض بوكوم للكثير من الشائعات والتهميد. لكن على الرغم من اختلاف وجهات النظر، يستمر في التواصل. ويقول "لا أحاربهم، أحاول فقط أن أعيدهم إلى المنطق". وقد اكتسب بوكوم شهرة واسعة في نهاية المطاف. وفي يوليو الماضي، شارك في مؤتمر حول الحريات الدينية في الولايات المتحدة حيث استقبله أعضاء في الكونغرس الأميركي.

وكان على وشك عقد لقاء مع اتباع كوفسا في موبتي. وقال بوكوم "عرضت

أثار مقتل ما لا يقل عن 51 جنديا في مالي الأسبوع الماضي في هجومين منفصلين، صدمة في البلاد، خصوصا أنها يأتيان في سياق سلسلة من الهجمات الدامية التي تبدو أمامها السلطات عاجزة عن وقفها. وفيما تحاول السلطات مقاومة تحركات الجماعات الإرهابية التي تستهدف منطقة الساحل منذ العام 2012، ما جعلها تتحول إلى مساحة نشطة لتنظيم الدولة الإسلامية منذ ظهوره إلى العلن عام 2015، يقترح خبراء ورجال دين معتدلون استغلال وسائل التواصل الاجتماعي التي توظفها الجماعات المتطرفة في الدعاية الجهادية والاستقطاب، إكمسا للتعويض بمخاطر الفكر الإرهابي لإقناع الشباب من براثن التطرف وأيضا لتجنب استئثار الإرهابيين بجميع المنابر الإعلامية.

تنتشر الدعاية الجهادية في مالي كالنار في الهشيم حتى في مناطق الريف البعيدة.

شائعات وتهديدات

لفترة طويلة، اعتصم سيسي بالصمت خوفا من التعرض للانتقام. بعد أن تلقى تهديدات كثيرة، وغادر الإمام بلدة موبتي، مسقط رأسه، ولم يعد إليها منذ العام 2016.

لكن الرجل البالغ 55 عاما والذي يفضل البقاء بعيدا عن الأضواء بات يرفض استئثار الجهاديين بالمنابر. وهو يدعو من باماكو عبر الإذاعة الفولانية "تابيتال بولاكو" إلى التسامح في الإسلام. ويتم تناقل رسائله عبر تطبيق "واتساب".

مع إمكانية بلوغ الناس بسهولة لشبكات الهاتف المحمول والإنترنت، تنتشر الدعاية الجهادية في مالي كالنار في الهشيم حتى في مناطق الريف البعيدة

وفي شهر رمضان الأخير على سبيل المثال توجه الإمام بشكل مباشر إلى أمادو كوفسا، ومن خلاله، إلى كل من "يتشربون كلامه"، بالقول إن كوفسا "يقول إن ماسينا (وسط مالي) قبله لم يكن مسلما، وكانت هناك ظلمة". وتابع "قلت له إنه لم يجلب الإسلام إلى ماسينا، بل جلب الفكر الجهادي، وهذا أمر مختلف تماما"، في إشارة إلى التيار الديني المتشدد الذي استقطب وانتشر بشكل سريع في السنوات الأخيرة في البلاد.

في وسط مالي الغارق في الحرب، يعبر الإمام حما سيسي عن إحباطه إزاء العجز عن وقف انضمام قسم من الشباب إلى صفوف "جبهة تحرير ماسينا" التي تبث الرعب في المنطقة، ويقول محذرا "الجهاديون يجندون عبر (تطبيق) واتساب. يجب وقف النزيف".

ويحتاج زعيم "جبهة تحرير ماسينا" أمادو كوفسا مواقع التواصل الاجتماعي ويعمل على استقطاب الشباب وإغراق البلاد في دوامة من العنف. يعرفه الإمام سيسي حق المعرفة، لقد تعلموا القرآن سويا في ثمانينات القرن الماضي. في تلك الحقبة، لم يكن كوفسا بعد الدعاية الذي يسعى إلى فرض الشريعة وحظر الموسيقى.

كان كوفسا في تلك الحقبة يعمل في نظم قصائد "للغني بالشابات الجميلات" مقابل مبالغ مالية ضئيلة. لكن بعد أن أكمل تعليمه الديني في الخارج، أصبح منظرًا. هو صاحب شخصية قوية ويمكن تمييز صوته العالي النبرة عن آلاف الأصوات. عندما بدأ بإلقاء الخطب، حقق نجاحا فوريا ساعده في ذلك توجهه إلى الناس بلغتهم، لغة الشعب الفولاني الرحل.

وتبث الإذاعات المحلية خطاباته النارية بشكل مكثف، ففي مدارس القرآن وأسواق الماشية، يتهاوت الناس للحصول على التسجيلات الصوتية لخطبه. ويدعو كوفسا إلى التصدي لظاهرة التسول، والغبن اللائق بمجموعة الفولاني... وله شعبية كبرى بين الرعاة.

وحلت الهواتف الذكية محل أجهزة الراديو النقال، وفرض تطبيق "واتساب" الذي يسمح بتوجيه رسائل صوتية، نفسه بدلا عن "راديو الساحل"، في إشارة إلى التيار الديني المتشدد الذي استقطب وانتشر بشكل سريع في السنوات الأخيرة في البلاد.

في وسط مالي الغارق في الحرب، يعبر الإمام حما سيسي عن إحباطه إزاء العجز عن وقف انضمام قسم من الشباب إلى صفوف "جبهة تحرير ماسينا" التي تبث الرعب في المنطقة، ويقول محذرا "الجهاديون يجندون عبر (تطبيق) واتساب. يجب وقف النزيف".

ويحتاج زعيم "جبهة تحرير ماسينا" أمادو كوفسا مواقع التواصل الاجتماعي ويعمل على استقطاب الشباب وإغراق البلاد في دوامة من العنف. يعرفه الإمام سيسي حق المعرفة، لقد تعلموا القرآن سويا في ثمانينات القرن الماضي. في تلك الحقبة، لم يكن كوفسا بعد الدعاية الذي يسعى إلى فرض الشريعة وحظر الموسيقى.

شائعات وتهديدات

لفترة طويلة، اعتصم سيسي بالصمت خوفا من التعرض للانتقام. بعد أن تلقى تهديدات كثيرة، وغادر الإمام بلدة موبتي، مسقط رأسه، ولم يعد إليها منذ العام 2016.

لكن الرجل البالغ 55 عاما والذي يفضل البقاء بعيدا عن الأضواء بات يرفض استئثار الجهاديين بالمنابر. وهو يدعو من باماكو عبر الإذاعة الفولانية "تابيتال بولاكو" إلى التسامح في الإسلام. ويتم تناقل رسائله عبر تطبيق "واتساب".

مع إمكانية بلوغ الناس بسهولة لشبكات الهاتف المحمول والإنترنت، تنتشر الدعاية الجهادية في مالي كالنار في الهشيم حتى في مناطق الريف البعيدة

وفي شهر رمضان الأخير على سبيل المثال توجه الإمام بشكل مباشر إلى أمادو كوفسا، ومن خلاله، إلى كل من "يتشربون كلامه"، بالقول إن كوفسا "يقول إن ماسينا (وسط مالي) قبله لم يكن مسلما، وكانت هناك ظلمة". وتابع "قلت له إنه لم يجلب الإسلام إلى ماسينا، بل جلب الفكر الجهادي، وهذا أمر مختلف تماما"، في إشارة إلى التيار الديني المتشدد الذي استقطب وانتشر بشكل سريع في السنوات الأخيرة في البلاد.

في وسط مالي الغارق في الحرب، يعبر الإمام حما سيسي عن إحباطه إزاء العجز عن وقف انضمام قسم من الشباب إلى صفوف "جبهة تحرير ماسينا" التي تبث الرعب في المنطقة، ويقول محذرا "الجهاديون يجندون عبر (تطبيق) واتساب. يجب وقف النزيف".

ويحتاج زعيم "جبهة تحرير ماسينا" أمادو كوفسا مواقع التواصل الاجتماعي ويعمل على استقطاب الشباب وإغراق البلاد في دوامة من العنف. يعرفه الإمام سيسي حق المعرفة، لقد تعلموا القرآن سويا في ثمانينات القرن الماضي. في تلك الحقبة، لم يكن كوفسا بعد الدعاية الذي يسعى إلى فرض الشريعة وحظر الموسيقى.

كان كوفسا في تلك الحقبة يعمل في نظم قصائد "للغني بالشابات الجميلات" مقابل مبالغ مالية ضئيلة. لكن بعد أن أكمل تعليمه الديني في الخارج، أصبح منظرًا. هو صاحب شخصية قوية ويمكن تمييز صوته العالي النبرة عن آلاف الأصوات. عندما بدأ بإلقاء الخطب، حقق نجاحا فوريا ساعده في ذلك توجهه إلى الناس بلغتهم، لغة الشعب الفولاني الرحل.

وتبث الإذاعات المحلية خطاباته النارية بشكل مكثف، ففي مدارس القرآن وأسواق الماشية، يتهاوت الناس للحصول على التسجيلات الصوتية لخطبه. ويدعو كوفسا إلى التصدي لظاهرة التسول، والغبن اللائق بمجموعة الفولاني... وله شعبية كبرى بين الرعاة.

وحلت الهواتف الذكية محل أجهزة الراديو النقال، وفرض تطبيق "واتساب" الذي يسمح بتوجيه رسائل صوتية، نفسه بدلا عن "راديو الساحل"، في إشارة إلى التيار الديني المتشدد الذي استقطب وانتشر بشكل سريع في السنوات الأخيرة في البلاد.

